فقد كانت الطبقات العليا في السلم الاجتماعي والاقتصادي هي الاسرع الى الاندماج ، لانها الاكثر استفادة ، بينما كانت البورجوازية الصغيرة هي اخر المستفيدين ، ولذلك بقي ولاؤها للقيم القديمة · كذلك انتشرت التيارات المسيانية الراديكالية بين الانتليجنسيا اليهودية التي اخذت بثقافة الغرب على وجه الخصوص (٣٩) · وكلها حقائق تقطع بأن البورجوازية اليهودية الصاعدة في تلك المرحلة ،كانت بورجوازية اندماجية تغلبت في الاساس على منازعاتها مع البورجوازية المسيحية في الفترة المبكرة ، واصبحت تجد مصلحتها كاملة في اطار حركة الامم الناهضة ، كما يثبت خطأ الرأي القائل بان الصهيونية كانت تعبيرا عن حركة الطبقة الوسطى اليهودية التي تبحث عن سوقها القومي المستقل في فلسطين ·

ويمضي هرتربزغ في وصف الموجة الاندماجية الغالبة بين اليهود مع صعود القومية الاوروبية ، فيقول بأن اليهودي الحديث في اوروبا ، في تلك الفترة ، لم يعد في حاجة الى ما يثبت انه اصبح رجلا من رجالات الغرب · وانما اصبح همه اثبات كمال وطنيته ومواطنته بالمشاركة في الجوهر الصوفي للقومية الالمانية والفرنسية الخ · ولذلك نجد قادة الاصلاح اليهودي الالمان يؤكدون في حماسة ، عام ١٨٤٠ ، ان برلين قد غدت هي « اورشليم الجديدة » و « الوطن الذي تصبو اليه كل علائق الحب » ·

□

كان الاصلاح والتنوير اليهودي ، وليس الصهيونية ، هو التعبير اليهودي عن حركة القومية الاوروبية الصاعدة ، كما كان الاندماج والذوبان في الامم ، وتلاشي الهوية اليهودية لا العزلة والانفصال ، هو النبض الحي للحركة القومية بين اليهود · نبض الانبعاث واليقظة ، ونمو مشاعر الوطنية واحاسيس الانتماء للاوطان · كانت ريح القومية والوطنية المشتدة تحمل معها تعميق احاسيس الوطنية والانتماء ، كما لاشت ، بالضرورة ، مشاعر الهوية اليهودية والعزلة ، مع زوال الاحاسيس السلالية والعرقية الموروثة عن عهود الاقطاع ، وما قبل الاقطاع بالنسبة للجميع · ذلك ان حركة القومية الصاعدة هي حركة وطنية ديموقراطية ، وحركة شعوب ، توحد وتبني ، بدوافع المصلحة والفكر ، وتشيد الصرح الجديد على انقاض كل صنوف التمزق والتشتت الاقطاعية والمتخلفة ·

حركة « القومية اليهودية » ، اذا صح التعبير ، مثلها مثل كافة الحركات القومية بين جميع الطوائف والاديان والفئات ، في مرحلة الصعود والثورة ، هي حركة انتماء ووحدة واندماج ، تلك حقيقة لا يجوز ان تترك للصهيونية لطمسها · أما كيف هزم العقل ، وتراجعت الثورة لتمسك بزمامها موجة القومية